

الحلقة الثانية

أمثال المسيح

برنامج أنوار كاشفة

نرحب بك مستمعي العزيز في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. بدأنا في اللقاء الماضي بالحديث عن أمثال المخلص يسوع المسيح. وكان المسيح قد تكلم بأمثال كثيرة لتلاميذه، أي لحواريه، وللناس الذين أتوا للاستماع إليه.

وكما ذكرنا سابقاً فإن المثل يقارن بين شيء مألوف للناس، وآخر غير مألوف لديهم. وذلك لإيضاح حقائق يريد صاحب المثل إيصالها إليهم. ولقد استخدم المسيح الكثير من الأمثال، لإيضاح الحقائق الروحية، وليكشف الهدف الذي أتى من أجله إلى عالمنا.

لقد تحدثنا في الحلقة السابقة عن مثل الخروف الضال. وعلماً أنه يشير إلى سعي الله للبحث عنا نحن البشر الخاطئة. أما اليوم فسنتحدث عن مثل آخر من الأمثال التي تشير أيضاً إلى حالة أخرى من حالات الضياع.

هل فقدت مرة مستمعي شيئاً عزيزاً عليك؟ كمبلغ كبير من المال مثلاً؟ أو خاتماً باهظ الثمن؟ أو ساعة ثمينة؟ أو حافظة نقودك وفيها كل الوثائق الشخصية وبطاقات الائتمان التي تملكها؟ وماذا فعلت عندئذ؟ أو لم تبذل كل جهدك للبحث عنها؟ عن هذه الحالة من حالات الضياع قال المخلص المسيح هذا المثل: « أو أية امرأة لها عشرة دراهم إن أضاعت درهماً واحداً ألا توقد سراجاً وتكنس البيت وتفتش باجتهاد حتى تجده. وإذا وجدته تدعو الصديقات والجارات قائلة افرحن معي لأني وجدت الدرهم الذي أضعته. هكذا أقول لكم يكون فرح قدام ملائكة الله بخاطئ واحد يتوب» (بشارة لوقا ١٥: ٨-١٠)

تحدث المخلص المسيح في هذا المثل عن حالة من حالات الضياع تحصل باستمرار مع الكثيرين من الناس. وأراد أن يقدم لنا درساً ثميناً، وعبرة مفيدة، وليكشف لنا حقائق روحية هامة علينا أن نأخذ بها، ونحاول الاستفادة منها في حياتنا. وكما في مثل الخروف الضال، نجد في هذا المثل امرأة أضاعت درهماً واحداً من دراهمها العشرة.

كانت المرأة في ذلك الزمان تتلقى عند زواجها عشر قطع من الفضة (دراهم) كهدية زواج. ولهذه القطع الفضية قيمة عظيمة جداً، أكثر من قيمتها المادية، كما لخاتم الزواج حالياً. وكان ضياع إحدى هذه القطع يمثل إحباطاً شديداً لصاحبها. ولهذا نجدها في هذا المثل تبذل كل جهدها للعثور عليها. فتوقد السراج، وتكنس البيت، وتفتش باجتهاد كل مكان في البيت حتى تجدها. وعندما تعثر عليها تفرح كثيراً، وتدعو صديقاتها والجارات لكي تفرح معها. وفي نهاية المثل علق المخلص المسيح قائلاً: « هكذا أقول لكم يكون فرح قدام ملائكة الله بخاطئ واحد يتوب ».

لقد لاحظنا في اللقاء السابق كيف أن المسيح قدّم مثل الخروف الضال، ليرد على الفريسيين والكتبة - أي رجال الدين اليهود- الذين تدمروا من المسيح لأنه قبل أن يدنو منه العشارون والخطاة. لقد أراد المسيح التأكيد على مدى اهتمام الله بالناس الخطاة الضالين. وشبههم أولاً بالخروف الضال، ثم في هذا المثل الذي ندرسه اليوم بالدرهم المفقود. وهو صورّ الجهد والعناء الذي يبذله الله لكي يجد كل إنسان خاطئ ويغفر خطاياهم ويجعلهم من أولاده. لهذا لم يكن غريباً أن يختم المسيح هذا المثل كما ختم مثل الخروف الضال، بالتأكيد أن ملائكة السماء كلها تفرح بعودة الخاطئ وتوبته. لكن السؤال كيف نعلم أن الله يبحث عنا نحن البشر الخطاة؟ وما هو الدليل على ذلك؟

مستمعي الكريم، هل الله يبحث عنا وما هو الدليل على ذلك؟ يظن الكثيرون أن الله الخالق هو إله جبار قوي، مرتفع جداً، وهو عال في السموات، ومن الصعب علينا كبشر الاقتراب منه. ولهذا تجد الكثيرين يخافون من الله ويرتعبون منه، وينظرون إليه كالإله الديان القاسي. لكن هذه الصورة عن الله ليست هي الصورة الصحيحة. صحيح أن الله هو الإله الخالق العادل والقدوس، وصحيح أنه من المستحيل على الإنسان الخاطئ أن يقترب منه. لكن الله هو أيضاً الإله المحب، الحنان، الرؤوف، الذي يشفق على خلانقه، ويسعى من أجل خلاصهم ومستقبلهم الأبدي.

وليس هذا فحسب بل إن الله قد برهن عن محبته العظمى للإنسان، وسعيه الدؤوب لردّه عن ضلاله، بأن تنازل إلينا في شخص المخلص المسيح. ولهذا أبلغ الملاك الرعاة عند ولادة المسيح قائلاً: « ها أنا أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب. أنه ولد لكم اليوم في مدينة داود مخلص هو المسيح الرب » (بشارة لوقا ٢: ١٠-١١). وكان الملاك جبرائيل قد قال للعدراء مريم عندما أتى لكي يخبرها بولادة المسيح: « الروح القدس يحلّ عليك وقوة العلي تظلك فلذلك أيضاً القدوس المولود منك يدعى ابن الله »

(بشارة لوقا ١: ٣٥) وهذا يؤكد أن الله نفسه تنازل إلينا من خلال كلمته الأزلي في شخص المسيح.

ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل إن الله ولفرط محبته للإنسان، قد أرسل المسيح لكي يموت على الصليب كفارة من أجل خطية الإنسان. أي لكي ينال العقاب عوضاً عنّا نحن البشر الخاطئة، حتى يغفر خطايا كل من يؤمن به، ويهبه الحياة الجديدة والخلود. وكان المسيح نفسه قد صرّح مراراً وتكراراً أنه قد أتى لكي يبذل نفسه فدية عن كثيرين، وأنه سيموت على الصليب وفي اليوم الثالث يقوم. وهذا الذي حصل فعلاً، وصار المسيح هو الكفارة الحقيقية من أجل خطايانا. وبذلك برهن المسيح بموته وقيامته عن محبة الله العظمى للإنسان الخاطئ.

صديقي المستمع، هل تبدّلت صورة الله بالنسبة لك؟ وهل أصبحت تؤمن أن الله القدوس العادل هو نفسه أيضاً الله المحب، الذي أشفق على الإنسان وأرسل كلمته الأزلي لكي ينقذه من براثن الخطيئة والضياع. لما لا تؤمن الآن بهذا المخلص الفريد فتحصل على عطايا الله العظمى.